

**البابُ الأوَّلُ:** فِي مَعْرِفَةِ الطَّهَارَةِ الَّتِي هَذِهِ الطَّهَارَةُ بَدَلَ مِنْهَا: وَاحْتَلَفُوا فِي الْكُبْرَى، فَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ وَابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُمَا كَانَا لَا يَرِيانَهَا بَدَلًا مِنَ الْكُبْرَى، وَكَانَ عَلَيْهِ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ يَرَوْنَ أَنَّ النَّيْمَ يَكُونُ بَدَلًا مِنَ الطَّهَارَةِ الْكُبْرَى، وَبِهِ قَالَ عَامَّةُ الْفُقَهَاءِ. وَأَنَّهُ لَمْ تَصِحَّ عِنْدَهُمُ الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ بِالْتَّيْمِ لِلْجُنُبِ، وَمَنْ كَانَ الْمُلَامَسَةُ عِنْدَهُ هِيَ الْلَّمْسُ بِالْيَدِ، أَعْنِي قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوْ لَامَسْتُ النِّسَاءَ} فَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعُودُ الضَّمِيرُ عِنْدَهُ عَلَى الْمُحْدِثِ حَدَّاً أَصْغَرَ فَقطَ، وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، فَإِنَّ التَّقْدِيمَ وَالْتَّأْخِيرَ مَجَازٌ، وَهُوَ أَنَّ حَمْلَهَا عَلَى تَرْتِيبِهَا يُوجِبُ أَنَّ الْمَرَضَ وَالسَّفَرَ حَدَّاً، وَهَذَا هُوَ أَحَدُ الْأُسْبَابِ الَّتِي أَوْجَبَتِ الْخَلَافَ فِي هَذِهِ الْمَسَالَةِ. فَقَالَ: لَا تُصَلِّ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَنَمَعَكُتُ فِي التُّرَابِ فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ تَنْفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ وَكَفِيكَ»، فَقَالَ: إِنِّي شَيْطَانٌ لَمْ أَحْدَثْ بِهِ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: أَنَّهُ قَالَ لَهُ عُمَرُ: نُولِيكَ مَا تَوَلَّتَ، فَلَمْ يَجِدِ الْمَاءَ شَهْرًا كَيْفَ يَصْنَعُ بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَبِي مُوسَى: لَا يَتَيَّمُ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ شَهْرًا، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: فَكَيْفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَّمُمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَوْ رُخِّصَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَأَوْشَكَ إِذَا بَرُدَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ أَنْ يَتَيَّمِّمُوا بِالصَّعِيدِ، وَذَكَرَ لَهُ الْحَدِيثُ الْمُنْقَدَّمُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ أَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَارٍ؛ خَرَجُهُمَا الْبُخَارِيُّ، وَإِنَّ سَيِّانَ عُمَرَ لَيْسَ مُؤْثِرًا فِي وُجُوبِ الْعَمَلِ بِحَدِيثِ عَمَارٍ، وَالْحَائِضُ بِعُمُومِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «جَعَلْتُ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا». وَأَمَّا حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ فَهُوَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا مُعْتَزِلًا لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ فَقَالَ: بِاً فُلَانُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّي مَعَ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَتِنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءً. فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ» وَلِمَوْضِعِ هَذَا الْإِحْتِمَالِ اخْتَلَفُوا: هَلْ لِمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مَاءً أَنْ يَطَأُ أَهْلَهُ أَمْ لَا يَطُوُّهَا؟